" سي سيد" صورة الرجولة والأبوة وتحولاتها في "ثلاثية "نجيب محفوظ و"بيت برناردا ألبا "

وطفاء حمادي

"كل الد[1]راسات عن شعري مزورة/ كل الرسوم لوجهي، ليس تشبهني ،لا شهريار... ولا عبد الحميد... أنا/ لو تعلمين كم التاريخ يظلمني

وشم القبيلة محفور على جسدي/ ولعنة الجنس،

ما زالت تطاردني

يا امرأة... تتمنى أن أحررها / في حين أبحث عن أنثى تحررني"

نزار قباني من "قاموس العاشقين"([1])

لكي تحرر الانثى الرجل ولكي نبحث في مفهوم الرجولة الجديدة ،نتناول في هذه الدراسة موضوع الرجولة والابوة وتجلياتهما في الرواية والمسرح من خلال ، نصي "الثلاثية " ل"نجيب محفوظ "([2])- ([2])

---

[1]- [1]نزار قباني ، ديوان قاموس العاشقين ، 1981

[2]ولد نجيب محفوظ في 11 ديسمبر 1911حصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة عام 1934
أمضى طفولته في حي الجمالية حيث ولد، ثم انتقل إلى العباسية والحسين والغورية، وهي أحياء القاهرة القديمة التي أثارت اهتمامه في أعماله الأدبية وفي حايته الخاصة.
حصل على إجازة في الفلسفة عام 1934 وأثناء إعداده لرسالة الماجستير " وقع فريسة لصراع حاد" بين متابعة دراسة الفلسفة وميله إلى الأدب الذي نما في السنوات الأخيرة لتخصصه بعد قراءة العقاد وطه حسين.
تقلد منذ عام 1959حتى إحالته على المعاش عام 1971 عدة مناصب حيث عمل مديراً للرقابة على المصنفات الفنية ثم مديراً لمؤسسة دعم السينما ورئيساً لمجلس إدارتها ثم رئيساً لمؤسسة السينما ثم مستشاراً لوزير الثقافة لشؤون السينما.
بدأ كتابة القصة القصيرة عام 1936 K وانصرف إلى العمل الأدبي بصورة شبه دائمة بعد التحاقه في الوظيفة العامة.

عمل في عدد من الوظائف الرسمية، ونشر رواياته الأولى عن التاريخ الفرعوني. ولكن موهبته ستتجلى في ثلاثيته الشهيرة: بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية التي انتهى من كتابتها عام 1952 ولم يتسن له نشرها قبل العام 1956 نظرا لضخامة حجمها.
نقل نجيب محفوظ في أعماله حياة الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة، فعبر عن همومها وأحلامها ، وعكس قلقها وتوجساتها حيال القضايا المصيرية. كما صور حياة الأسرة المصرية في علاقاتها الداخلية وامتداد هذه العلاقات في المجتمع ولكن هذه الأعمال التي اتسمت بالواقعية الحية لم تلبث أن اتخذت طابعا رمزيا كما في رواياته " أولاد حارتنا" و" الحرافيش" و "رحلة ابن فطومة."
بين عامي 1952 و 1959 كتب عددا من السيناريوهات للسينما. ولم تكن هذه السيناريوهات تتصل بأعماله الروائية التي سيتحول عدد منها إلى الشاشة في فترة متأخرة.
من هذه الأعمال " بداية ونهاية "و " الثلاثية" و " ثرثرة فوق النيل" و" اللص والكلاب" و " الطريق."
صدر له ما يقارب الخمسين مؤلفا من الروايات والمجموعات القصصية.
أما "الثلاثية" : فهي أحداث ومجريات .أغسطس 2006 و لقد توفى نجيب محفوظ فى 30. العالم ترجمت معظم أعماله الى 33 لغة في **يستحضرها نجيب محفوظ بأسلوبه الشيق، ليعرّفنا على أجواء ومناخات القاهرة وبيوتها في فترة الاربعينات التي كانت حافلة بالأحداث والحلم وبسداد الرأي والطاعة السياسية والاجتماعية . وليعرفنا على افراد تلك العائلة التي تتحلى بالجدية والصرامة مع السيد**

و"بيت برناردا البا" ل"فريديركو غارسيا لوركا " الاسباني([3]). وهما نصان دراميان اولهما رواية عرضت في مسلسل تلفزيوني ، وفيلم سينمائي ، والثاني نص درامي مسرحي ، وكلاهما يخوض في الطبيعة العلائقية للرجولة والابوة داخل الاسرة .

وسنستند في التحليل الى المنهج السوسيولوجي ، لتكتمل دائرة التحليل ببعديه الفكري والفني ، وتنفتح على مساءلات كثيرة تتشكل منها اشكالية الدراسة وفرضيتها . و سيتم التركيز الاساسي في هذه الدراسة على المسار العلائقي للأب / الحاكم مع شعبه / اسرته ،من خلال نسقين لمفاهيم الابوة التبعية والاستقلال الذاتي اللذين بدورهما يفرضان نمطين من العلاقة : أ- الولاء "الشخصي" : الطاعةو الخضوع و النسب

ب- والواجب "الموضوعي" :المسؤولية و الانضباط و الإنجاز، باعتبارأن الابوة كمفهوم هي هذه المنظومة الطقسية الميثية التي تسيطر فيها العلاقات البطركية ([4]).

3 - ولد فيديريكو في قرية صغيرة تقع في ضواحي غرناطة اسمها "فويتنة فاكيروس" عام 1898، وهو نفس العام الذي شهد ولادة بيرتولد بريشت و ارنست همنغواي. وولد لوركا لعائلة ثرية بقيت طقوس تناول الطعام بالملاعق الفضية عالقة في عقله الباطن حتى مماته. وإذا لم يتعلم الطفل فريدريكو من والده القاسي ، المشغول دائما بالأسفار والولع بالنساء، غير الضرب المبرح وتمزيق الكتب، فإنه تعلم من والدته القراءة والكتابة والعزف على البيانو " وتقنين " الهوس بالأشياء الجديدة الذي اكتسبه عن والده .
يقول لوركا نفسه أنه تلقى تربيته على أيدي أربع نساء لعبن الأدوار الرئيسية في حياته ومن ثم في مسرحياته اللاحقة. وهن: والدته، جدته المسنة، عمته، وإحدى الوصيفات اللاتي قمن على رعايته. وهنا بالذات نشأت " مملكة النساء" في عالم وكتابات الشاعر الأندلسي الملقب " بالغجري الصغير". بل ويمكننا على هذا الأساس تفسير سبب تبني فيدريكو لاسم والدته فينشيتا لوركا ورفضه اسم العائلة(الأب) رودريغز. وهذا ما يعتقده العديد من دارسي حياته بمن فيهم غيبستر الذي عاصر لوركا وصادقه لفترة طويلة. إذ نشأ لوركا في " مملكة النساء" منذ أن توضحت معالم حياته الأولى في بيت فينشيتا لوركا. فالنساء المحافظات ، المنشغلات بملابسهن ومراوحهن اليدوية، نهجهن القاسي في التربية والمستمد من حياتهن القاسية في مجتمعهن الرجولي، كرسن أعماله " النسوية" في مختلف مراحل تطوره الأدبي. ويروق للعديد من المؤرخين ، وليس عن غير حق، تفسير شذوذ لوركا الجنسي على هذا الأساس. هذا في حين يميل البعض الآخر لتفسير انقلاب فيدريكو على أسم أبيه رودريغز بالقول أن لوركا أراد تمييز اسمه ككاتب صاعد عن اسم رودريغز الذي يحمله الملايين في اسبانيا .

ان عالم مسرحيات لوركا الانثوي، وقائمة شخصياته فيها ، يكفي بحد ذاته لترجيح كفة جان غيبستر وتفسيره لحياة لوركا على أساس " الانفصام الاجتماعي"، الذي كان يحمله اينما حل، بين واقع تربيته النسائية والبيئة الرجولية السائدة في اسبانيا العشرينات. الصراع النفسي داخله بين الرغبة في الخروج على هذا الواقع والعجز عن كسر طوق واقع العزلة النسائية التي يعيشها (مقدمة نص لغة الازهار ، المرجع السابق).

4-هشام شرابي، ص. 15

3- اشكالية الدراسة

تتمحور اشكالية الدراسة حول الانتقال والتحول من نموذج الرجولة والأبوة التقليدي وموقعه داخل الاسرة الى نموذج حديث ، بحيث تحال اشكال هذه التحولات التي تعرضت لها منظومة الابوة والرجولة الى عدة تمظهرات في الشكل والبنية والسلوك .

تتبلور هذه الاشكالية من خلال مساءلات افتراضية تدور حول الرجولة والابوة ،وبالتالي حول الغرض من دراسة هذا الموضوع ، ومبرراتها ، لنجيب في النهاية عن سؤال جوهري آخر هو كيف شكل هذا الموضوع ثيمة التحول في الخطاب الادبي الذكوري ؟

لا بد في هذا السياق من رصد مظاهر التحول على المستويين الفكري والجسدي والعام والخاص ، من أسهم في هذا التحول (المجتمع ، المرأة ، الابن) وكيف ينجلي هذا التحول في النصين من خلال المرأة الشرقية و المرأة الغربية "الواسطة " وناقلة السلطة الذكورية الى داخل الاسرة ؟ ما هي اسبابه ؟وكيف بدت هذه التمظهرات المتحولة من خلال السلوك الفكري والجسدي واللغوي في هذين النصين ؟

اسباب وتسويغ

لماذا هيمن هذا الموضوع على الأذهان خلال ما يقارب الأربعين عاما؟ كيف يمكن لفكرة الأبوة أن تلهم وتحرك مشاعر حقبة تاريخية؟ كيف يمكن لصورة الأب، أن تتفاعل ضمن الإطار العائلي الفردي في أهميتها ؟

يفتح اليوم باب الحوار والنقاش على مصراعيه ، وتكتب الابحاث والدراسات حول قضية ثيمتها الاساسية الرجولة والابوة . يثار هذا الموضوع ، اليوم ، نظرا لما رسمه الفكر النسوي من دور حداثي للمرأة ، يعيد تحديد موقعها ، وهويتها بعدما كانت العلاقة مع المواقع والامكنة والازمنة مصنوعة ومصاغة ومبنية من الرجل ، وينقب عما همش من ابداعها واعمالها الفكرية والفنية والادبية بظهور النقد النسوي ،إضافة الى تعزيز كفاءتها المعرفية والعلمية ، وتغيير أدوارها التقليدية ،بعد ظهور مفهوم " المرأة الجديدة " ،ويعيد قراءة الخطاب الذكوري السائد ليستل منه خطابها ، هذا الى جانب التحولات البنيوية التي حصلت بين اشكال السلطة والكشوفات العلمية .

استدعت هذه التحولات وقلب الادوار و ضرورة تحديد سياسات المواقع الجديدة ، اعادة قراءة موقع الرجل ، والحال التي آلت اليه ابوته ، في داخل الاسرة ، وفي مجتمعه ، والمساءلة عن تركيبته الثقافية والفكرية الحديثة ، وأثر ذلك على موقعه داخل الاسرة و خارجها ، اي في المجتمع ،في مرحلة تعاقبت عليها مفاهيم الذكورة من النظام البطركي التقليدي الى النظام البطركي المحدث بما تتضمنه من قيم متعددة كالرجولة والأبوة التي خضعت للتحول بعدما كانت في المراتب العليا ، لأن الرجولة والابوة عندما كانتا الرمز السائد والمتفق عليه للسلطة ، لم تكونا قضية لتبحث ، كما لم تكن حيثيات سلطتهما لتناقش .

واليوم ، قد بدأت تهتز اركان النظام الابوي وترسيمات الابوة بسبب ظهور النشاط النسوي وفكره وجندريته داخل الاسرة ، وخارجها وبسبب أن السلطة التي مارسها الأب على ابنائه ، أدت الى التغيير في سلوكهم كما تجسد في خطابهم ، عندما بدأ العمل على تفكيك تمثلات التحولات الجديدة التي اصابت النظام الابوي ونقدها ، بهدف الخروج من القوالب النمطية المرتبطة بالنوع. ،

وبهدف تغيير الصورة التقليدية للذكورة والرجولة في المجتمع ، ظهر مصطلح "الرجل الجديد"، ثم ظهر كقضية ملحة اثارتها آلام الفنانين والكتاب الغربيين والعرب .

إزاء هذا الاهتمام الكبير بالتحول نحو دراسة الرجولة والابوة يكمن الرد على هذه المساءلات بمقاربة نشأة النظام الابوي والقيم التي ينتجها .باعتبار ان النظام الابوي - حسب هشام شرابي –" شغل مرحلة كبيرة في مسيرة وسيرورة الاجتماع البشري ، وتاريخيا تتحدد نشأته مقابل النظام الامومي في مطلع نشوء الحضارة الانسانية . و ترسخ هذا النظام عبر مروره بتحولات دينامية ابتدا ء من البطركية الأصولية القديمة ، التي صمدت في صيرورتها الفكرية والاجتماعية واستمرت في التحول نحو البطركية الحديثة "([5]) .ولكن هذا التحول سيمر بمرا حل كثير ة تنوعت بتنوع مجريات الامور التي بدأت بعرض صورة الرجولة والابوة ،ومناقشة تشكلها في ثيمة اساسية هي جزء مهم من النتاج الادبي والمسرحي .

أ- تحول الرجولة والابوة ثيمة الخطاب الادبي الذكوري

تراء ت الرجولة والابوة كهاجس أقلق بعض المثقفين والفنانين الغربيين ، إذ بدأوا يشعرون بمأزق كبير تجاه كينونتهم (الذكورية وقيمتيها ، الرجولة والابوة). فقد استوقفهم هذا الحراك (للمرأة) وبدأوا يعيدون قراءة الخطاب الجديد الذي سيحدد موقع المرأة ، وينال من موقعهم ، أو يغيره ، او يتساوى به ، أو ينتزعه منهم . لقد باتت هذه قضية فكرية وانطولوجية لدى الرجل ،وقد بدأ بمطالعتها ، في الدرجة الاولى ، الفنان المسرحي والسينمائي والادبي ... فبعض الرجال ولا سيما الفنانين انتبهوا لهذه القضية وبدأو يعيدون قراءة تاريخهم من منظور دينامي متحرك تحت عنوان " من الملحمية الى الحميمية "([6])حيث لم يعد الرجل هو تلك الشخصية الملحمية ، التي لاتطال ، والتي تمثل ضمير الامة وضمير الناس وقوتهم التي بها يحتمون ، لم يعد فيها الرجل يستحوذ على رأس الهرم ولم يعد موقعه الاجتماعي فوقيا . بل انتقلت أكثر الى الحميمية عندما بدأت المرأة تجد حيزها الثقافي والاجتماعي والشخصي والذاتي .

فتكرست هذه المساءلات ثيمات ومحاور وموضوعات للدراسة والبحث والتنقيب في خطاب الرجل المؤلف والشاعر والكاتب .كثرت الأعمال التي تحدثت عن "صورة الأب" في المجالات الإجتماعية، الفلسفية، والسياسية منذ عام 1750 ولغاية الثورة الفرنسية ، وتبلورت فيها العقدة الأبوية التي سيطرت على الحياة الفكرية في فرنسا في القرن الثامن عشر ، إذ لا نجدها فقط في أعمال الكتاب والمفكرين، بل في حياتهم أيضا ، ففولتير مثلا قد عانى الكثير من تسلط والده الذي فرض عليه دراسة القانون، ورفض توجهاته الأدبية، وتدخل في اختيار زوجته فسجنه عندما اختار فتاة احبها للزواج بها .فانعكس ذلك لدى كتابته لتراجيديته الاولى ،واختار موضوع

5-المرجع نفسه ،

6- ، 2004، ص175-177. (L’identité masculine ne se construit pas contre l’autre par Robert Ayotte, directeur de L’Accord Mauricie mardi 14 octobre 2003 , HYPERLINK http://sisyphe.org/sisypheinf

"أوديب" لكتابتها يتحدث فيها عن موت الأب، يركّز على براءة البطل المتمرد.. لا شك أن الخوف على المستقبل كان يسيطر على الرجال ويمزق نفسيتهم، ، وكان من تداعيات مرجع الضمير هنا غير واضح ، ولا بد من التصريح به هنا أن حارب المسيحيون الكاثوليك عمل المرأة لأنه يتناقض مع مفهومهم للمرأة كأم وكزوجة، وكذلك الحركة العمالية الثورية التي تخوفت من مزاحمة اليد العاملة النسائية "الرخيصة"، فدعت النساء للعودة إلى البيت ، هذا الى جانب ان البورجوازية قضت على الرجل كسلطة، وحقوقيي الثورة قضوا عليه كأب، وبذلك لم يعد له وجود في القوانين ([7]) التي تخضع الابن الى نمطين من المفاهيم التي انتجتها الابوة ذكرناهما سابقا وهما الولاء الشخصي ،والواجب الموضوعي .

وهذان النمطان ، ستجلوهما البنية الفنية والفكرية للرواية والنص المسرحي ("ثلاثية نجيب محفوظ " و"بيت برناردا البا") / مادة الدراسة ، وهما سيشكلان الركيزة الاساسية للمقارنة بين سمات البطركية الاصولية التقليدية والبطركية الحديثة ، التي ربما ستولد مقوض نظامها . وهذا ما سنتوافر عليه في دراستنا للشخصيات الرجالية وتحديدا ياسين والشخصيات النسائية ، بعد الالمام بهويتهم الذكورية والانثوية وخصائصها ، الشرقية والغربية معا ، لأن للغرب ايضا حصته الوفيرة من هذه الاشكالية ، وقد جسد هذه السلطة الكاتب المسرحي الاسباني فيديريكو غارسيا لوركا الذي كتب عدة نصوص مسرحية درامية تكشف عن واقع المرأة الاسبانية في تلك الفترة ، المرأة المقموعة ، كما في نصوصه "عرس الدم" ، "يرما "، و"بيت برناردا البا" . ولكن لوركا قام بعملية انزياح كرس فيها سلطة الرجل عبر المرأة التي تهابه ولكنها المؤمنة به ، فتعيد انتاج قيمه ومفاهيمه وتربي بناتها وفقا لهذه القيم الذكورية ، وهكذا يسعد الاب ، الحاضر في صورته وقيمه والغائب في جسده .

رجولة وابوة في نصي "الثلاثية " وبيت برناردا البا "، صور وتمثلات في الاسرة

آثرنا ان نعالج في النصين / مادتي الدراسة ،هذه الثيمة رجولة / ابوة وتحولاتها في اطار الاسرة النووية/نتاج الزواج الاحادي حيث لا امتدادت اسرية خارجة عنها ، ([8]) فيها يتحدد العنصر الحاسم في صياغة مفهوم النظام الأبوي، كبنية سوسيو–ثقافية، من خلال "محورية الأب" في بنية الأسرة، التي تنتظم حوله بوصفه السيد المطاع، الذي يملك حق السيادة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية . وبوصفه المالك الطبيعي للعائلة، حيث أحادية الزواج تسمح له بهذا الاعتقاد الراسخ بأبوته الطبيعية التي تؤسس ([9])على مستوى الأسرة نوعا من التواشج العضوي الطبيعي،

-IBIDEM 7-

[8] -- جورج طرابيشي (شرق وغرب رجولة وأنوثة)- دار الطليعة –بيروت -1977

[9]- ميشال فوكو ، حفريات المعلافة ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، 1987، ص. 163

الذي ستصوغه لغة الاجتماع باسم "رابطة الدم".هذه الرابطة الدموية، هي التي ستؤسس بدورها لنظام القرابة ودائما في اطار الاسرة النووية ، وتظهرتجلياتها في الاداب والفنون.

و هنا رواية العائلة أوالاسرة على وجه الخصوص رواية الواقعية ، وهي التي تأتي بمحمولات فكرية ثقيلة . فهي لم تهتم بالحيوات النموذجية ، و إنما بالمعاناة الفردية و المصير الفردي لأعضائها بقيمهم و انجازاتهم الخاصة. في هذه الدراسة ستكون الأسرة حجر الزاوية في بنية النصين ، وتركيب العائلة سيكون النواة، والنموذج للتشكيل الاجتماعي في مجتمع تحكمه العلاقات الأبوية .

أ- ثيمة الرجولة وحضور الاب في "الثلاثية "

تعتبر "ثلاثية " نجيب محفوظ (1911، ممنوح جائزةنوبل 1988) في أجزائها " بين القصرين" و"السكرية و"قصر الشوق"(1956-1957) أولى الروايات التي ظهرت بالعربية لقرن مضى،وللخوض في تجنيسها يمكن تصنيفها انها نوع ادبي يقع بين السيرة الذاتية والسرد الروائي الواقعي ، فيها اختزن محفوظ القاهرة القديمة ،عندما كان يقف على شرفة بيت العائلة في حي الجمالية ، مراقباً الجنود البريطانيين وهم يحاولون ايقاف مظاهرات الشارع عام 1919 (المشهد الذي أعاد عرضه في "بين القصرين") .

على الرغم من مغادرة أسرته الجمالية عندما كان في الثانية عشرة ، فإن حواريها و خليط الطبقات الاجتماعية فيها ظلت مركز عالمه الروائي الواقعي ، وكذلك شكلت الامكنة الواقعية حيز الثلاثية المكاني ، و كما كتب الروائي المصري جمال الغيطاني: "في نفس الحارة تستطيع أن تجد قصراً تحيط به حديقة واسعة جميلة، و بجواره مباشرة بيتاً متواضعاً لتاجر، و في الجوار توجد عمارة تؤوي عشرات الناس الفقراء" (و لكن منذ الثلاثينات فقد تدهور حال الحي و أصبح فقر الأزقة شاملاً).

إلا أن محفوظ قد ركز في الثلاثية على عالم المدينة، حيث لا نجد أي أثر للفلاحين أو للريف، ولأنها رواية الاسرة النووية بدا اناسها أو اعضاؤها مدنيين أن ليس لهم أقرباء في الريف. وفيها نتتبع تقلبات جيلين من عائلة قاهرية من الطبقة الوسطى منذ ثورة 1919 و حتى الحرب العالمية الثانية. وهم لا يحملون بذور نموهم من الداخل ،او بمواجهة الذات ، لأنهم مارسوا نمطا من نمطي البطركية التقليدية التي فرضها النظام الابوي ، وهو نمط الولاء الشخصي الذي من مقتضياته الطاعة التي تخضع الجيل الاخر الى سلطة الابوة ، لذلك يمكن تصنيفهم من افراد الطبقى الوسطى الفاعلين ما في وسعهم للحفاظ على قيمها (قيم لطبقة)في السلوك و المظهر. نقل نجيب محفوظ في أعماله حياة الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة فعبر عن همومها وأحلامها وعكس قلقها وتوجساتها حيال القضايا المصيرية كما صور حياة الأسرة المصرية في علاقاتها الداخلية وامتداد هذه العلاقات في المجتمع.

وقد رصد من خلال نموذج الأسرة القاهرية التطور التاريخي في مصر في مرحلة حاسمة من القرن العشرين. لكنه كشف القناع عن شخصياته عندما وصف سلوكياتهم بما فيها من نفاق وطمع وازدواجية في الأخلاق ووضع خطط لأهداف بعيدة المنال والفشل الذي يدعو للرثاء دون التعليق عليها أو تدوين تقييمه الخاص لها.

تتكون هذه الاسرة من : "سي سيد" الزوج، وأمينة الزوجة ، والأبناء ياسين وفهمي وكمال والابنتين خديجة وعائشة . تسكن العائلة في بيت كبير، تجري فيه أحداث ووقائع يستحضرها نجيب محفوظ ، ليعرّفنا على أجواء ومناخات القاهرة وبيوتها في فترة الاربعينات التي كانت حافلة بالأحداث السياسية والاجتماعية . وليعرفنا على افراد تلك العائلة التي تتحلى بالجدية والصرامة مع السيد، وبالصبر والحلم وبسداد الرأي والطاعة مع أمينة، وباللامسؤولية مع ياسين وبالحسّ الوطني مع كمال وبالطيبة والادب مع الفتاتين ..

يمضي نجيب محفوظ في سرده في جزءي" الثلاثية "بين "القصرين" و"قصر الشوق" مترافقا مع التبدلات والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ليقف على مجريات الأمور مع ياسين والسيد وأمينة المتفانية بإخلاص لعائلتها ولزوجها ، فهي تدرك مغامراته ولكنها تغيبها في ذهنها. وخديجة وعائشة وكمال الذي حصل نجاحا بعد نجاح ووطنية مقلقة زجت صاحبه في أتون المظاهرات والاحتجاجات والنشاطات السياسية المعادية للإنكليز...

في "السكرية "الجزء الثالث، من ثلاثيته ، يكشف محفوظ عن تبدلات الزمان البادية على ا لأماكن والاولاد ، وحتى على الأخلاق والعادات، من خلال عائلة سي سيد : فنلحظ تبدلات في الملابس ، وتغيرات في الأفكار والشخصيات محاكة بسمات الزمن وبعنصر التغيرات السياسية والاجتماعية ، ولكنها تغيرات تخضع لما حدده محفوظ لكل من شخصياته ، من غير أن ينسى التحول الذي اصاب الرجولة والابوة في هذه العائلة ، وإذا كانت التغيرات قد طالت الامكنة والشكل الخارجي للباس ، فما بال وضع الرجولة والابوة في هذه الاحوال وما مصيرهما ؟

ب-"بيت برناردا البا " ثيمة الرجولة والأبوة سلطة الحضور والغياب

في "بيت برناردا ألبا " حجزت برناردا بناتها الخمس المتراوحة اعمارهن بين العشرين والتسع والثلاثين في المنزل ، فرضت عليهن الحداد لمدة ثماني سنوات . هؤلاء تنشدن الحرية والحب المرفوض من الام منذ زمن طويل ، ومنعتهن من رؤية الشارع ومارست عليهن سلطة العادات والتقاليد المرعية . اوغستيا ، البنت الكبرى ، مخطوبة لبيبي لورومانو ، اجمل فتى في البلدة ، وهي وليدة الزواج الأول لابيها ، ورثت من ابيها "دوتة" او ورثة كبيرة عكس شقيقاتها .وسببت هذه الخطوبة الرغبة والحسد لدى شقيقاتها ، فاستفاقت الرغبات ، وتحديدا عشق اديلا لخطيب شقيقتها ، اديلا هي الصغرى التي تعشق الحياة .

تسود أجواء عزلة رهيبة في كل زاوية معتمة من زوايا البيت-السجن ، وتختلج فيه عواطف وأعصاب النسوة المقموعات. وتسعد الام / الاب التي تستحضر السلطة الرجالية والذكورية المتوارثة فتقول " هكذا كان بيت أبي وبيت جدي وجد جدي، وهو ما سيكون عليه ابدا"، حسب تعبير الأم المتسلطة، وفي أجواء البيت السوداء، الممتدة بين الجدة الخرفة التي يستثنيها جنونها من طقوس الحداد وتبحث في أركان البيت عن عريس، وبين البنت الصغرى المتمردة أديلا، تسود أعراض مرض يشبه " هوس السجون " أو هستيريا الأماكن المغلقة ، ويتحول حب بيبة إلرومانو إلى حب جماعي تنشده الفتيات المحرومات من رؤية الناس. تقيم أديلا علاقة غرامية سرية مع بيبة في الأسطبل في غفلة من اختها الكبرى وأمها ، ولكن بمعرفة من أخواتها المتلصصات([10]).

10- لوركا ، لغة الازهار ، ترجمة احمد عبد العزيز ، المسرح العالمي ، الهيئة المصرية العامة ، 1989، ص. 12

وإذ تكتشف الأخت الوسطى ماجدالينا العلاقة في ليلة ما، فتقول في حوار مع اختها :

"أه . وضعت ثوبها الاخضر وذهبت الى الزريبة وهي تصرخ : دجاجات ددجات انظري الي لم اقاوم نفسي من الضحك

اميليا : او رأتها امي

ماجدالينا : مسكينة . هي اصغرنا وهي تحب الحياة ليتني استطيع ان اقدم شيئا لرؤيتها سعيدة

اديلا : متن بغيرتكن ،ولكن بيبي لو رومانو لي انا . ياخذني بين قصب النهر . ..لا يمكنني تحمل هول هذه الحيطان بعدما تذوقت طعم فمه . وسأصبح ملكه ...كل البلدة ضدي ...مطاردة من " الرجال الشرفاء " سأضع تاج الشوك على رأسي الذي تضعه النساء المعشوقات من رجال متزوجين"([11])

وتبدأ أسرار الفضيحة بالتسرب إلى " آذان الجيران الملتصقة بالجدران" تلتقط برناردا ألبا البندقية كي تغسل عار العائلة بدماء بيبة، لكنها تخطئها لتصيب اديلا .وكانت اديلا قد استغلت إنهماك الجميع في محاولة التستر على الفضيحة فتلجأ إلى أقصر طرق للخلاص من عذاباتها: تعلق نفسها في الغرفة وتضع حدا لحياتها، لكنها تفشل، مع الأسف، في وضع حد لقمع أمها. فتدعو الأم بناتها الأربع إلى مواصلة الحداد حتى إشعار آخر "... الصمت... الصمت... ثم الصمت... ماتت ابنتي عذراء، هل فهمتم!! ماتت ابنتي عذراء" ([12])

استطاع لوركا ان يلج الى اسرار شحصياته النسائية اللاتي ينتمين الى الطبقة الوسطى ويخضعن لاخلاقياتها . وسخرها جميعا لخدمة هدفه الاساسي . العوانس وانتظار العريس الذي لا يأتي .. في هذا النص ارتبط الشاعر بواقعه الاجتماعي ، حيث اراد ان يعكس حقيقة الطبقة الوسطى في مجتمعات الاقاليم والواقع المحزن الذي تخبئه خلف المظهر الكاذب ([13])فمسرحية "بيت برناردا البا" مثلاً تقتصر على العناصر النسوية وتخلو كلياً من العناصر الرجالية، وهو امر ينطبق على معظم اعماله المسرحية الشعرية بنسب متفاوتة وهتي تحمل عناوين بطلاتها ،مثل "يرما" و "ماريانا بنيدا" و "الاسكافية العجيبة" إضافة الى "بيت برناردا ألبا" ([14])

نص "بيت برناردا البا " اطلق عليه " بيت العوانس " وفيه تركيز على سلطة الام وقبضتها الحديدية التي تحكم البيت حكما دكتاتوريا . ولكن السلطة هذه المرة ، وإن كانت ترمز للسلطة السياسية ، فهي السلطة الابوية التي تفرضها الام بعقل ذكوري يقتضي الخضوع ،أو ما ينطوي عليه

11- لوركا ،المرجعالسابق ، ص.12

12 -المرجع نفسه ، ص. 19

13- المرجع نفسه ، ص. 16)

14- تامر فاضل ، المدى ، 2006).

هذا المصطلح من دلالة تشير إلى العبودية التي تعني اضمحلال الشعور بالواجب ، والمسؤولية والاستناد إلى الولاءات والأنساب العائلية، ومن هنا لا يبقى سوى التمرد والانقسام والانشقاق بعد (لذلك تمرد كمال واديلا وياسين وخديجة ، و لكل منهم صورة تمرده المختلفة عن الاخر) .

وتسييد هذه السلطة من قبل الأم يرتكز على اعتراف النساء بها ، واضطلاعهن بتنشئة الأولاد كأمهات، ذكوراً وإناثاً، وتربيتهم على تثمين القيم التي تنتجها الابوة وإعادة انتاجها. قامت هذه التنشئة على غرس تمثلات وتصورات "Représentation" عن الذكورة المقيمة والأنوثة المبخسة. هذا ما استبطنه الجميع.

يواصل فيدريكو غارسيا لوركا في مسرحيته المتأخرة " بيت برناردا ألبا" النظر بعمق إلى المجتمع الرجولي القائم في إسبانيا في عشرينات القرن العشرين وثلاثيناته، وإماطة اللثام عن المجتمع التقليدي المتخفي وراء مشاهد مصارعة الثيران والقبعات المتطايرة، وأخيرا، وهوالأهم، كشف مجتمع النساء الحزين المتشح بالسواد والقابع خلف المراوح اليدوية الملونة ([15])

اخرج هذا النص عدد كبير من المسرحيين العرب ،ومنهم المخرج اللبناني ميشال جبر ، والمخرجة والمؤلفة العراقية عواطف نعيم ومؤخرا المخرج العراقي جواد الاسدي ، وكانت لكل منهم رؤيتهم الخاصة التي لم تراوغ ولم تنزاح عن فكرة السلطة الذكورية.

ج- الأم الرمز للسلطة الابوية في عرض " بيت برناردا البا "

تقوم البنية الدرامية للنص على تضاد حاد ضمن ثنائية السيد / العبد، أو الحاكم المستبد/ المواطن المضطهد، حيث تمثل شخصية برناردا المحور المركزي للصراع الدرامي،، وقد اتقن المخرج ميشال جبر تجسيده للسلطة الذكورية / سلطة الابوة التي تعيد انتاجها وتنميتها ونشرها المرأة / الأم ،عندما وضع في منتصف الخشبة على الخلفية الداخلية للمسرح صورة كبيرة للأب ، وحين تريد الأم ان تملي موقفا أ وتصدر أمرا ، تقف تحت الصورة ، فتصدر سلطة هذا الرجل الحاضر / الغائب ، ولكنه الحاضر بقوة بواسطة السلطة الموكولة الى الام /رمز للاستبداد والهيمنة المطلقة المتحكمة في حركة الشخصيات الاربع، فهي الام، والحاكم المستبد في الوقت ذاته. .

دأب الرجال على انكار قدرة المرأة ، وإنشاء ثقافة ابوية تمكنت من جعل النساء يتشربن الكثير من سمات الثقافة الابوية ، لذلك يمكن للرجال ان يتناولوا النظام القيمي النسوي الذي وضعت له دونوفان توصيفا من وجهة نظرها " يتضمن اعتبارا للنظام العارض والمجال البيئي والعالم المادي .ان التوجه المقر للحق في الحياة والذي نعتته دونوفان بأنه انثوي هو توجه قد يتخيره كل من الرجال والنساء أو قد يلفظونه "([16]) . لوركا المرجع السابق ،

[15]- براون ، جانيت ، الحركة النسوية في الدراما الاميركية المعاصرة ، ترجمة تامر عبد الوهاب ، مركز اللغات أو الترجمة –اكاديمية الفنون ، مراجعة د. محسن مصيلحي ، 1997، ص. 11

[16]- لوركا ، المرجع السابق

ولكن هذا الخيار الذي جعله لوركا من شأن الام ، اي خيار الانابة عن السلطة الابوية لتحقيقها ، خلق صراعا تمثل بين ارادتين: ارادة السلطة الحاكمة الممثلة بالام ، وارادة التمرد الممثلة بأديلا. كانت أديلا في العشرين من عمرها، وكانت تبحث عن حقها في العيش متحدية طقوس الحداد والموت والعقم التي تفرضها الام المستبدة على المناخ الاسري، فتقيم علاقة مع حبيبها (بيب آل رومانو) ،وتقرر الهرب معه لتخترق بذلك الحصار الذي فرضته الام على بناتها ، وتكسر تابوها معقدا فتفقد عذريتها ، هو ما افقد الام / الاب رشدها فقالت : "... الصمت... الصمت... ثم الصمت... ماتت ابنتي عذراء، هل فهمتم!! ماتت ابنتي عذراء".([17])بعدما سدت الام المستبدة الطريق بوجهها وأردتها قتيلة ، لتتحول الى ضحية أخرى من ضحايا الاستبداد والقمع ، شكل هذا الصراع مركزاً محورياً في نمو الحدث الدرامي وتفجره في نهاية العرض المسرحي .

وتبدو صور الأم الطيبة على اختلاف مع الأم الشريرة المشتركة ام البنات في بيت برناردا البا وتوصف حلقة الأم بذات الوجهين، وجه الأم الرحمية والماقبلية، ووجه الأم الفالوسية والمابعدية([18])، فإننا نشاهدالاختلاف الرؤيوي بين كلتا الأمَّين :امرأة تجسّد شخصية الأم المثالية والطيبة والمستسلمة والخاضعة التي تجسدها امينة في الثلاثية ، وامرأة ثانية أن تمثل شخصية الأم الواقعية والشريرة والحاملة للفكر الذكوري ، فهي تعيد انتاج قيمه ومفاهيمه ، وتطبقها على بناتها (بناته).

د- كيف تجسدت الرجولة والذكور ة والابوة في الداخل والخارج في النصين

ينتمي الأب سيد احمد عبد الجواد، في "الثلاثية " الى ما يسميه هشام شرابي بالعائلة البطركية التقليدية ([19])هي التي تعزز نظام الرعاية والولاء الشخصي، وتضمن استمرار السلطة ذات الطابع البطركي، في شخصية سي سيد.

استطاع الكاتب نجيب محفوظ ان يجسد لنا هذه الحقيقة بوضوح. ، حيث سنتبين موقع الرجل بالمفهوم البطريركي للتصنيف " سي سيد " احمد\ عبد الجواد ، رجولته (في علاقته مع المرأة زوجته ، والغانية) وفي علاقته مع الاخرين في الحي ، واحساسه بوطنية عارمة ، استكمالا للرجولة المؤدلجة ،و تعاطيه مع مرحلة المراهقة في حياة الابن، ولا سيما «المرحلة التي كان يتعين عليه فيها أن يدلف إلى «عالم الرجال» ـ ونموذجهم أبوه ـ من بابه العريض» ([20]) ، ذكوريته التي كشفت عن طبيعة علاقته بزوجته وعلاقته بالغواني ،خلقت تناقضا كبيرا في سلوكه .

ولجلاء هذه العلاقة نستعين بآراء كيس التي تقضي بأن كلا من الواقعية والتراجيديا قد لا يناسب المورفولوجيا الانثوية . فالواقعية في تركيزها على المحيط العائلي والكيان الاسري تضيف

18-لوركا ، المرجع السابق

19- جورج طرابيشي الفالوسية (16) جورج طرابيشي: الروائي وبطله: مقاربة اللاشعور في الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، 1995،ص .18

-20- شرابي ، المرجع السابق ، ص. 55

الى الذكر بعدا ماديا جديدا وذلك حين تصفه بأنه الانا الجنسي sujet sexuel ، ثم تصف الانثى بكونها الاخر الجنسي ، ويمكن اعتبار التراجيديا صورة طبق الاصل من التجربة الجنسية للذكر ، حيث تتألف من المداعبة وإغواء " الآخر ([21])

هذه الصورة لمنظومة العلاقات الأبوية الاستبدادية، وما تنتجه على مستوى البنية الثقافية والروحية الشعورية واللاشعورية في العلاقات الأبوية ، ستشكل أحد المحاور المهمة في رواية محفوظ ، فالنظام الأبوي يحيل وعي المتلقي مباشرة تجاه منظومة من العلاقات الاجتماعية والثقافية التقليدية الموروثة ، وبالتالي فان هذه العلاقة ستضعنا مباشرة أمام علاقة صراعية تنطوي على تناقض (القديم / الجديد – التأخر) . يظهر شخصيته في المنزل طاغية ينهى و يأمر زوجته و أطفاله، و لكنه في أمسياته يتحول الى انسان مرح و تلقائي ،و عاشق كبير لنساء الطبقة المشبوهة. أما زوجته أمينة فهي المخلصة و المطيعة جداً لأوامره لدرجة أنها و لمدة ربع قرن لم تكن تغادر منزلها (و عندما يقنعها أبناؤها بالتسلل خارجاً تتعرض لحادث مخز كما لو كان الهدف إثبات أنه على حق).

ومرد ذلك إلى أن هذه السلطة التي فرضها "سي سيد " تبدو مطلقة إلى درجة لا تنفي كل حرية شخصية فحسب ، أو كل ما يتعلق بالأحاسيس ، والإرادة والطموح ، بل تنفي الواقع نفسه أبضا ، ونفي الوجود عن الآخر من الأفراد والأشياء .. ومقارنة بذلك تقوم برناردا ألبا بفرض نظام في العالم المغلق لبيتها، تتبلور فيه أخلاقيات اجتماعية قائمة على قواعد سالبة وقيود وضغوط ، مرتبطة الذي يقوله الآخرون انه عالم يتماشى مع نظام المجتمع ، النظام الأوحد الذي يمكن ة أن يعتبر هو الحقيقة ذاتها، ولا يمكن قبول أي نوع من الاحتجاج عليه.

من خلال هذه العلاقات وأوجهها نجد ان السلطة التي يتمتع بها "سي سيد "هي سلطة مستمدة من عدة مصادر ومرجعيات :

-الخارج:المجتمع العام في ظل النظام البطركي ، ومجتمعه الضيق الذي يكن له الاحترام والمهابة نظرا لوضعه الاقتصادي الميسور ، ولحبه للحياة وتمتعه بها مع شلة تفعل ما في وسعها لكي تنال رضاه ،ويتبين ذلك من خلال المديح الذي يكيلونه له في السهرات ومع الغواني، والاشادة بفحولته وتمايزه . هذا الرجل القادر هو مسؤول عن إعالة أسرته والعمل على تأمين احتياجاتها كداّ وعرقاّ. هو الزوج الذي يتمتع بسلطته الجنسية على زوجته، وهو الأب الذي يتخذ القرارات بشأن مصائر أبنائه وبناته. استطاع هذا النموذج أن يشكل نمطاّ سلوكياّ للإنسانية مع كل ما يحمله من عبء ومن سجن له داخل هذه المنظومة من الصور والتمثلات في ثنائية السيطرة/ الخضوع.

الداخل : أما داخل الاسرة فإن سلطته مستمدة من ضغف المرأة واستسلامها وخضوعها لمشيئته ، سواء اكانت الا م ام البنت ، وهي التي اسهمت وتسهم في تأكيد هذه السلطة واعادة انتاجها . وما يدل على أن المرأة هي التي تسهم في إعادة إنتاج هذه السلطة بالاستسلام ، أو بالخضوع لها هو

21- براون ، جانيت ، المرجع السابق ، ص. 9)

نجاحها وتمكنها عندما تقرر ان تخالفها وتتحداها وتؤكد حضورها ، ولم يغفل محفوظ الاشارة الى هؤلاء النسوة بل منحهن مساحة وحيزا كبيرا في روايته فإن" سي سيد" يبدي احترامه لهن ، وهذا ما سلكه مثلا مع السيدة التي أصبحت فيما بعد حماة ابنتيه ، فكان يستقبلها حين تقصده في محله بكل احترام ، ويستمع اليها بأدب .

إلا أن هذه المرأة ذات الشخصية القوية هي المرأة التي يمكنها ان تتحدى ولو في ظل شروط قاسية ومعايير وقيم اخلاقية مضطهدة وضاغطة ، وفي ظل اعراف موضوعة وسائدة وشائعة تقتضي جميعها خضوع المرأة، فهي من النساء اللا تي يمتلكن القدرة على المجابهة والرفض في ظل الظروف المذكورة ، وربما تكون من النساء المحظوظات كما تسميهن فاطمة المرنيسي ([22])، ممن اتاحت لهن بيئتنهن وثقافتهن (التركيات) في تلك المرحلة ، فرصة التعبير .

بهذا الشكل كرست سلطته كرجل وزوج داخل الاسرة وخارجها ، اما أبوته فقد استمدت نفوذها من نمط مفهوم النظام الابوي البطركي التقليدي الذي حدد ترسيمات حسب شرابي في اول البحث .وهذا ما حققه سي سيد في علاقته بابنائه الثلاثة ياسين وفهمي وكما ل والابن لا يملك سوى التودد والاسترحام والخضوع لإرادة الأب لمنحه حقوقه، وهي حقوق لا يمارسها بوصفها خاصية من خصائص كيانه الشخصي بل بوصفها هبة من فوق ([23]).

ه- مقارنة بين سلطة برناردا ألبا و"سي سيد"

يتعامل "سي سيد" مع المرأة كما لو انها عدو له يخضعها ويذلها ، ويحاول أن يلغي وجودها تماما، ويتعامل معها على أنها جزء من ممتلكاته الخاصة ، لتصبح سجينته ، ما يدل على تمادي "سي سيد "في استخدام سلطته ، السجن / الحرملك الذي أمرت به أيضا الام في "بيت برناردا البا " وهي تقول :" إعلمن جميعاً ان الحداد لدينا طويل ، ينبغي الا يدخل خلاله
من ابواب هذا المكان، ولا من منافذه حتى هواء الطريق نفسه.
ولتعتبرن منافذ هذا المكان ، كما لو كانت مسدودة لا مخرج منها ولا مدخل اليها"([24])

بالنسبة الى النساء العربيات والاسبانيات تبدو المواجهة غير قابلة للتصالح بين قوتين عمياوين بدرجة متكافئة، في مكان مغلق ، محكم السد، إنه المكان الذي تناولته فاطمة المرنيسي لتفصح عما تتعرض له المرأة فيه ، حيث يخضعها الرجل ، مدعيا انه بسيطرته على المكان سيحمي المراة التي سوف تتعرض للانهيار والرذيلة في حال الخروج ، فالداخل / المنزل / السور هو الامان بحماية الرجل ، أما الخارج ، فهو الرذيلة والضياع ([25])

22-فاطمة المرنيسي ، الجنس كهندسة اجتماعية ،بين النص والواقع ، ترجمة فاطمة ازرويل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1996، ص. 18
23- شرابي ، المرجع السابق ، ص. 23
[24]- لوركا ،المرجع السابق ،ص. 23
[25]- فاطمة المرنيسي ، الجنس كهندسة اجتماعية، المرجع السابق، ص. 18

لكن لنلاحظ ان برناردا عندما تفرض الحجر على النساء(بناتها) وحجز حريتهن لا تستثنى نفسها من القرار مثل الاب / الرجل ، بل تخضع هي نفسها كامرأة لهذه الحالة . وعلى الرغم من إمساكها بزمام الامور وممارستها السلطة الذكورية فإنها سلطة مصطنعة ، لذلك فهي تختلف عن سلطة سي سيد الذي لا يخضع للشروط التي يمليها على الأسرة ، فالرجل هو الذي يشكل عالم المرأة كله ، ويصبح ، في الوقت نفسه ، هو عالم كل النساء، يفرض عليهن قوانينه ومبادئه واوامره وشروطه التي يعتبرها مقدسة ، ولا ينبغي المساس بها، ولكنه في الوقت نفسه لا يطبق حرفا واحدا منها ، يطلب من المرأة الزوجة أو البنت الالتزام والوفاء والاخلاص والتدين والحفاظ على كونها تنتمي إليه في الوقت الذي هو نفسه لا يبادلها شيئا من هذا .

يؤكد هذا السلوك الذكوري ايستهوب لاعتباره :" أن الذكورة السائدة تقوم مقام المعيار الخاص بالنوع بحيث تقاس عليها النوعيات الأخرى. وبتأثير من الأفكار التي تزيح التمركز حول الذكورة(يعرف دريدا رمز الذكورة بأنه " دال متعال" أي نقطة ثابتة وموحدة خارج اللغة وهي قمة السلطة الذكورية.أما الذات النسائية في علاقتها برمز الذكورة المثبت فتصور على انها " آخر" أو "هامشي"، الأمر الذي يجرد المرأة من القدرة على الفعل ويضعها موضع المُزاح والمُستبعد في الخطاب المتمركز حول الذكورة([26]) ، وفي هذين النصين تهميش للذات النسوية القابعة بين جدران المنزل العربي والاسباني ، حيث تعرضت المرأة الاسبانية ، في تلك المرحلة ، الى اضطهاد ذكوري كبير ركز عليه لوركا في أغلب مسرحياته ، وصور بدقة واقع العانس ومعاناتها في البيئة الاسبانية التي تشابهت الى حد كبير بمثيلتها العربية .

إلا أن هذه الصورة التي كشفت عن واقع الرجولة والابوة في النصين ، قد تعرضت لتطورات هزتا اركان النظام الابوي ، وسعت الى كشفه وتعريته لجعله موازيا لها ، متساويا معها ومتصالحا مع ذاته ، فتعرض ذلك النظام لتقلبات نتجت من الحراك الذي قامت به المرأة في مسيرتها متبعة مفاهيم الفكر النسوي والانجازات التي حققتها المرأة على مختلف الصعد ، وكانت التحولات هي اشكالية علاقة الرجل مع ذاته ومع محيطه الداخل والخارج ، كما كان لهذا التحول عدة مظاهر ، نرصدها في هذين النصين .

ازاء هذا الاهتمام الكبير بالتحول نحو دراسة الرجولة والابوة في المجالات الابداعية الفنية ، لا بد من الرد على المساءلات التالية التي تشكل تناسقا عضويا مع طبيعة الموضوع ومجاله ، وسلوك شخصياته ، ومساراتهم الفكرية ، وهذه المساءلات المرتبطة بالموضوع تسمح بالنظربنيويا الى شبكة الممارسات الاجتماعية الشخصية التي تبني كلا من التصرف الابوي والرجولي ؟.

<u>التحولات في مفهوم الرجولة والعلاقة مع الابوة</u>

إنطلاقا من المفاهيم المتعلقة بالابوة والمرتبطة بدورها بمفهوم الرجولة المنبثق عن سياقها النمطي ، وهي المفاهيم التي شكلت أساس المقاربة النظرية في هذا البحث ، سنتتبع سيرورة تحولات الابوة والرجولة في النصين مادة البحث ، وننظر الى آلية تجسيدها في المسار السلوكي والنفس -اجتماعي للشخصيات في النصين .

26- لقاء مع نهى حجازي ، جريدة البيان البحرينية ، اجراها علي القميش ، 2004

هذا الاختلاف المنظوري في تحول الابوة و الرجولة يعكس في الحقيقة اختلافاً في الواقع التاريخي، وثمة رؤية تشف عن أن شعوراً طاغياً بالحرية تفجر في مرحلة الرجولة الثانية :الابناء في الثلاثية فيما تتفجر لدى الابنة في بيت برناردا البا .

تتبدل احوال عائلة "سي سيد " ، وتسير في هذا المنحى الانتقالي من المجتمع البطركي التقليدي ومواجهته لمجتمع الحداثة مع عدم اغفال مميزات ومفارقات المجتمعين البطركي التقليدي والحداثي . لذلك سنعمد إلى الترسيمات التي تعمل على ابانة التمايز بين البنيتين ([27]) وعلاقتها بالشخصية المتحولة والمتغيرة والمتطورة عن شخصية الابوة التقليدية والرجل والمرأة . ونجلو هذا التحول من خلال مستويين : الأول فكري والثاني جسدي -متعوي . الأو ل يمثله فهمي وكمال واديلا ،والثاني يمثله ياسين .

<u>التغير والتحول على المستوى الفكري</u>

التحول لدى الابناء

في مسار يسعى للانفلات من النظام الابوي البطركي ،وفي ظل مساعي الطبقة البورجوازية للسعي نحو التنمية والتغير دون شك ، وإن وقعت اكثر من غيرها في دائرة استغلال بورجوازية ، تقع عليها اعباء الاستهلاك الذي يجعلها دائمة التبرم ، رافضة ، وغير واثقة من الاوضاع السائدة ، هذه الطبقة تقف في مواقف كثيرة من الحيرة والقلق والنكوص والتأرجح ، ولا سيما لدى معارضتها للأخلاق ، والعادات والقوانين والنظم ، التي أفرزتها التغيرات الجديدة ، كما سعت لتفريغ همومها الذاتية النابعة من صدامها مع دينامية التغير ([28]) ، وإذا كانت قد صاغت لها مواقف متقدمة ، تمتحن سيكولوجيتها ، امتحانا مرهقا ينعكس في هذه الثلاثية ، ومواقف حائرة ، قلقة ، ذات طابع ميلودرامي ، كما برزت في مواقف فهمي وكمال ، ففهمي الذي يبدأ حراكه ، إذ يختار أن ينصرف الى النضال ومحاربة الانكليز .

لكن حراكه هذا يتأجج أيضا كاستجابة لردة فعل عاطفية ، جعلته ينطلق من تفجير غضبه الخاص باللجوء الى الاستغراق في الشأن العام ، والنضال السياسي ضد الانكليز ، مع فهمي تبدأ الخطوة الاولى بالتمرد وعدم الطاعة والانصياع لخيارات الاب ، إنها خطوة للانتقال من نظام الابوة التقليدي الى النظام الحداثي ، وفي سلوكه وتمرده هذا ينكشف الوجه الآخر لسي سيد ،الذي يكمن في داخله الشعور الوطني ، فهو يرفض الاحتلال و يهتف مع المتظاهرين ، ولكنه يضمر هذا الشعور ، ولا يضعه ضمن اولوياته ، لأنه ينتمي الى نظام الابوة التي تعلن الولاء للعائلة ، وتغيب مفهوم المجتمع ومفهوم الوطن والأرض، ليكتسب هذا المفهوم طابعاً تجريدياًَ، ولتتحول الإيديولوجية السياسية إلى ظاهرة لفظية. وسي سيد" لا يحتقر المجاهدين ، وهو أبعد ما يكون عن ذلك ، طالما تابع انباتءهم ودعا لهم عقب كل صلاة بالتوفيق " ([29])

27-هشام شرابي ،النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي – مركز دراسات الوحدة العربية، ص30

[28]- ابراهيم عبد الله غلوم، المسرح والتغر الاجتماعي في الخليج العربي ، عالم المعرفة ، عدد 105، ص. 16

[29]-نجيب محفوظ ، بين القصرين ، المصدر السابق ،ص398

ولكن الامر يختلف كل الاختلاف اذ صدر عمل من هذه الاعمال من ابنائه ، كأنهم جنس قام بذاته خارج نطاق التاريخ ، وهو وحده الذي يرسم لهم الحدود لا الثورة ولا الزمن ولا الناس ويسارع الى تحطيم رجولة هذا الابن فيقول "اتوهمت انك رجل ؟ اتوهمت انك تستطيع ان تفعل ما تشاء ؟ لو أشاء أضربك حتى اكسر رأسك " ([30]) .أما الابن فهمي استطاع ان يثور على الانكليز وان يتحدى رصاصهم كل يوم تقريبا ، ولكن الانجليز عدو مخيف وبغيض معا أما أبوه فرجل مخيف ومحبوب ، وهو يعبده بقدر ما يخافه .

في الجزء الثاني من الثلاثية، يبادر كمال الابن الاصغر ،و هو الابن المفضل و الذكي، و الذي يصبح بعدها مثقفاً وطنياً شاباً قلقاً ، إلى إقامة علاقات خاصة بالوسط الأرستقراطي المتعلم تعليما غربياً، وهو غير بقايا الأرستقراطية التركية التي حرص الأب على مصاهرتها، ويتكرس مظهر من مظاهر الخروج على الأبوية، حينما يفكر كمال بإجراء قطيعة مع ارتباطاته الاجتماعية والدينية عبر إيمانه المطلق بالعلم والفلسفة، فينتهي إلى ضرب جديد من الاعتقاد.

ثم يتغير موقف كمال الاجتماعي والثقافي عن المفهوم السابق ، إذ أن هناك بعدا ثقافيًا عالياً تتيحه البنية الفوقية للمجتمع ، وتنتجه ضمن أدلجة الرجولة وإملاءاتها نحو تشكلات الوعي الاجتماعي([31]) ، فإن كثيرا من القيم والتوجهات وأنماط السلوك التى يتعلمها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية بصفة عامة والتى قد لا يكون لها علاقة مباشرة بالنواحي السياسية ، تساعد على تكوين شخصيته وتحديد اتجاهاته بشكل يؤثر على سلوكه السياسي فيما بعد ، ويتضح ذلك بوضوح عند مناقشة الثقافة السياسية المصرية العربية التي استهلها فهمي في مناصرته لسعد زغلول ، متحديا بذلك الثقافة السياسية الرعوية التسلطية التي لاقاها في منزله وهي صورة أصيلة لما يسود المجتمع العربي ،ومتحديا أيضا علاقات التسلط والرضوخ وروح الإذعان والاتكالية وأنماط السلوك غير الديمقراطية المتمثلة في انعدام روح الحوار والنقاش وعدم القدرة على تقبل الرأي المخالف ، والتى ، هى نتاج لعملية التنشئة الاجتماعية والسياسية التى يتعرض لها ابناء سي سيد المرموز اليه بشكل السلطة السائدة لدى المواطن العربي من خلال قنوات التنشئة المختلفة وبالذات من خلال البيت والمؤسسة التعليمية .

لذلك نجد ان لا أحد من عائلة سي سيد اناثا وذكورا ابناء وبنات ان يتحدى سلطته ولا ان يجهر بمخافة امره ، لذلك كان الجميع يلجأ إلى الكذب الذي لم يكن بالرذيلة المخزية ، ولم يكن في وسع أحد منهم أن يتمتع بالسلامة في ظل الاب دون حماية من الكذب ، هل كان في وسع الام يوم تسللت في غيبة السيد الى زيارة الحسين ان تعترف بفعلتها ، وهل كان في وسع ياسين ان يسكر ، وكمال ان يتعفرت بلا حماية من الكذب ؟ ليس الكذب مما يتورع عنه احد منهم ، ولو انهم التزموا الصدق مع ابيهم ما ذاقوا للحياة طعما ، لهذا كله قالوا بهدوء: امرك ([32])

وغني عن البيان عن أن البيت هو الخلية الأولى التى تتشكل فيها قيم وتوجهات وأنماط سلوك الفرد التى تؤثر في ما بعد على نظرته وسلوكه تجاه النظام السياسي والعملية السياسية . وتبرز أهمية البيت في هذه الثلاثية في أن تنشئة ياسين وكمال وفهمي الاجتماعية والسياسية قد أكسبتهم خصائص

30- نجيب محفوظ ،المصدرالسابق ، ص. 402
31-- هشام شرابي ، المرجع السابق ،ص. 31
[32]-المصدر نفسه ، ص. 400

شخصيتهم وأنماط سلوكهم من خلال طرق التربية والتصرفات والمواقف التى يتعرض لها في البيت لأن البيت العربي يعمل بصورة مباشرة على خلق القيم والتوجهات وأنماط السلوك التى تعكس نفسها في الثقافة السياسية الرعوية التسلطية . إن نمط التربية السائدة في البيت العربي يعمل على " قتل الشخصية وإخضاع الفرد لقيم المجتمع وترويضه للامتثال" ويتضح ذلك من خلال علاقات التسلط والرضوخ التى تسود حياة الأسرة العربية ، فالأب هو كل شئ في البيت العربي وهذا ما عاناه ياسين حسب ما تدل عليه هذه الفكرة التي وضعها محفوظ في النص :" ولما مر ياسين بباب الدكان التفت الى داخله فرأى خلقا كثيرين ولكنه التقى بعيني أبيه ... فانحنى في إجلال رافعا يده إلى رأسه في أدب ، فرد الرجل تحينه مبتسما ، ثم استأنف مسيره مسرورا بهذه الابتسامة كأنما حظي بنعمة نادرة المثال ، والحق ان عنف أبيه المعهود ، ولو أنه اعتوره تغير ملموس منذ ان انخرط الفتى في سلك موظفى الدولة إلا أنه لم يزل في نظره نوعا من العنف الملطف بالكياسة ، فلم يزايل الموظف خوفه القديم الذي ملأ قلبه وهو تلميذ ، ولم يفارقه شعور بأنه ابن وأن الآخر أب ، وما فتيء يتضاءل في حضرته ...([33]).

ويعمل نظام التربية في البيت العربي على قتل روح الإبداع والتفكير الحر المستقل عند الطفل وتزول ثقته تدريجيا في آرائه الخاصة وفى قدرته على تحمل المسؤوليات . الذهن المتخلف يعاني من التفكير وحيد الجانب والاتجاه ، نظرا لتحكم علاقات التسلط والرضوخ([34]): كلمة السيد وأوامره ، قانونه يقابلها معاش انفعالي ومتخاذل عند التابع الذى يعمم بدوره نفس الموقف الذهني في مختلف وضعيات الحياة كالذي انعكس على سلوك ياسين وفهمي وهذا ما تؤكده الجده عندما تعاير ياسين وفهمي بموقفهما المتخاذل إزاء طرد الأب سي سيد لوالدتهما لأنها ذهبت لزيارة ضريح الحسين دون استئذانه ، فتقول الجدة :" لو كنتم رجالا حقا للالتمستم الوسيلة إلى قلب أبيكم ليتحول عن عناده "...فتبادل ياسين وفهمي نظرات ساخرة من هذه " الرجولة "المزعومة التي تذوب لدى ذكر أبيهم "([35]) يشير التحليل النفسي في النقد الأدبي الذي يتصل بمجال الإنتاجات الثقافية، إلى أي حد يتمثل المرء في سلوكه وأفعاله المنظومات الفكرية الناظمة للقيم والمتعالقة بالتمثيل الثقافي([36]).

وهذه الشخصية هي شخصية حداثية ولكنها واقعة في مأزق كبير ، تكمن فيه إمكانية تحديث حضاري من دون تضمين النسب الوراثي ، أي من دون التعايش مع الثورة المعرفية الابستمولوجية .ولكن هذا التغير كان مشوها لأن "النظرة الجديدة –في العالم العربي و الاسلامي- هي نظرة حديثة من جهة، و نظرة مشوهة" من جهة ثانية ، فقد جرى استيعاب المؤسسات و الاتجاهات الحديثة و لكن بطريقة "مبتورة" ، فهذا العالم من الداخل ما زال "يزحف خلف الحداثة"،

33-- نجيب محفوظ ، بين القصرين ، المصد السابق ، ص. 68)

34- مجلة أبعـــــاد/ المركز اللبناني للدراسات-10- النقد الثقافي/تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية/ارثر ايزابرجر[1]

35 - نجيب محفوظ ، بين القصرين ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، تاريخ الايداع ، 1977،ص. 203) [1]–

36-أنيس فهمي أقلاديوش: السينما والمسرح وأمراض النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الط2، 1982.

ويشخص أوكتافيو باث مصائب التحول بطريقة مماثلة: فالديموقراطيات دول متخلفة تستمر في التداعي لأن تلك الدول قد نقلت الأشكال الديموقراطية من دون "التيار الفكري الحديث و النقدي" الذي نبتت منه الديموقراطية الغربية ([37].)

يكشف نجيب محفوظ الستار عن هذا المشهد وهو الأول في "السكرية" في الجزء الثالث، من ثلاثيته. خطوات الزمان بوقع تأثيرها ، وتتجلى واضحة على الأجساد والأولاد والأمكنة والأرجاء. وحتى على الأخلاق والعادات، يتابع محفوظ تحرك الزمان من خلال عائلة السيد، الملابس تتبدل، الأفكار تتغير، والشخصيات: السيد، أمينة، ياسين، كمال، خديجة، عائشة، ما زالت تمتلك زمام الحركة في مجريات الأحداث، ولكن نجيب محفوظ يضعها في إطار واقعي محكوم بسمات العنصر الزمني وبعنصر التبدلات السياسية والاجتماعية التي تتضمن كلها تغيرات ، ولكنها تغيرات خاضعة لكل حسب ما حدد محفوظ له شخصيته غير متناس التحول الذي اصاب الرجولة والابوة في هذه العائلة ، هو روائي الطبقة المتوسطة المصرية والمتحدث الرسمي لها . في اخر الثلاثية تغيرت القاهرة وتغيرت معها كل القيم التي رصدها نجيب محفوظ من خلال شخصياته الاساسية ، لم تعد صورة سي السيد كما كانت وإن بقيت شخصيته كما هي ، لم يعد ذلك النموذج المتعدد الاوجه ، وإن بقي النموذج السلطوي الذكوري باقيا بعد زوال السيد عبد الجواد ، تعير تغير شكله ولم تتغير عقليته ([38]) إذا كانت التغيرات قد تبادرت الى الامكنة والشكل الخارجي باللباس ، فما بال وضع الابوة والرجولة في هذه الاحوال وما مصيرهما ؟.

ب - <u>التغير والتحول عبر الجسدي</u>

يمثل ياسين العاطفي ، أحد المحركات الكبرى لمسار السرد في الثلاثية، ولمسيرة التحول ، وإن كان تحولا عبر الجسد .كان يحمل بذوره في احشائه . في سلوكه يجسد ياسين الجانب الخفي من شخصية أبيه، يتماهى به ولا يعلن هذا التماهي ،وفي الوقت نفسه فهو يتحداه .و لا يوقِّر أيّاً من قيم الأب، على الضد من ذلك. ولكنه يتحول الى صورة متماهية قلقة وممسوخة([39]).

فهو في سلوكه هذا ، يعجل في تدمير صورة الاب ، فالعلاقة المزدوجة والمعقدة التي يقيمها كل من الأب وياسين مع زنوبة، تدفع بمفهوم الأبوة إلى حافة الخطر، إذ إنها تصير على تماس مع القيم الأخلاقية وضدها . ياسين قادر على التمتع دونما تأنيب داخلي، وهو مصمم على تدمير القيم الأبوية، توضع كل هذه الصفات في سياق تدمير الأبوة في الوقت الذي يضرب التصابي الأب في الصميم، تصابيه بزنوبة الذي يمزقه شطرين بين الاندفاع للاستغراق بمتعه والحفاظ على قيمه الأبوية، فيما يقترفها الأب متعففا، ومتخيلا أنها تكمل دوره الأبوي الذكوري، فالأبوية تقي من السقوط المريع، فيما البنوة لا تأبه بالقيم الرمزية ([40]).

37- أوكتافيو باث ، الشعر ونهايات القرن ، ترجمة ممدوح عدوان ، دارا لمدى ، 1998، ص. 30

38-<u>محمد حلمي هلال ، جريدة الفنون الكويتية ، عدد 71 ، ص2. 56</u>

[39]- جورج طرابيشي: رمزية المرأة في الرواية العربية مرجع سابق ، ص. 15

[40]- المرجع نفسه ، ص. 14

وسلوكات ياسين تهز ركائز القيم الأبوية،القيم التي يتمثل لها، ويتبناها، ويتحرك ضمن أسوارها المغلقة ، ثم ان هذا الاشتهاء الجسدي المتعوي يؤدي الى خلخلة النظام الأبوي، لكنه مدفوع بمفهوم الأبوة الذكورية .لا يتقبل سي سيد هذا الانتقال، ولا يقر به، ولا يسمح له أن يتحقق، يعيش صراعا بين دوافعه الغريزية ودوافعه القيمية، ولكن محفوظ يدفع بفكرة الدنس إلى نهاية أخرى، ، فهي لا تقف عند حدود التنازع بين الأب والابن على حب زنوبة، بل تأخذ مساراً آخر بعد أن يحوز ياسين عليها، يقع الدنس هذه المرة في المشاركة التي يقيمها ياسين وكمال مع الغانية "وردة" في الحالة الأولى يتشارك الأب والابن في حبها، وفي الحالة الثانية يتشارك الأخوان في حب وردة.

هكذا يظهر ياسين ،وفي عدة فصول ومشاهد من الثلاثية ، هذه الشخصية القلقة التي انفلتت من قيادة الذات وتاهت بين فقدان الام المزواج والمتصابية ابدا ، وبين الاب ، الباحث عن المتعة في الخارج والسيد في الداخل ، حيث لا مكان للحوار ، والتخاطب ، بوجود القمع وعدم الاعتراف بهذا الاخر الابن وكينونته ووجوده . فسي سيد هو الممثل المطلق للسلطة الابوية البطركية ليس في علاقته مع المرأة (الزوجة ، الابنة ، العاهرة) فحسب بل ايضا مع الابن / الرجل الثاني ([41]).

وبالاخص ياسين الذي لم يكن طائعا فقط ولو بالظاهر لسلطة الاب ، إنما هو لا مسؤول، لقد استلبت مقومات رجولته لدرجة ان لا احد يمكن ان يلجأ إليه ، زوجة ابيه او احد اخوته ، أو اخواته .ومن الواضح أن الطاعة لا تولد نظام الرعاية والوساطة ، فحسب ، بل تقتل روح المبادرة والموهبة الفردية والجماعية المبدعة، و تعفي الطائع من المسؤولية بوصفها قيمة أخلاقية واجتماعية وسياسية إيجابية عليا في ذاتها، وعلى هذا فإن نظام الرعاية القائم على نظام "الواسطة" وما يستتبع ذلك من خضوع وتبعية يؤدي بالضرورة إلى استحالة العقد الاجتماعي([42]) .

وليس ادل على ذلك سوى حرا ك بعض الشخصيات مثل فهمي كمال و أديللا ،إذ انه عندها لا يكون القانون في خدمة الوضع القائم، والعقوبة لا تعني إصلاح الفرد المخالف بل توكيد قدسية القانون والحفاظ على النظام الاجتماعي. وبما أن المعارضة قانونياً متعذرة، فالتآمر والتمرد يصبحان الشكلين الوحيدين للحل السياسي. وبما أن النقاش العلني الحر ممنوع، فإن العنف يصبح وسيلة الإقناع الوحيدة. وفي هذا السياق يصيغ شرابي التمرد بشكل انفعالي ومغلوط يؤثر سلبا في الشخصية كما هي حال كمال وياسين ، اللذين ابتنى سلوكهما على ردة فعل حادة ضد سلوك الاب تجاههما ([43])وكمال وقد انتهى به الامر الى الزواج باحداهن لينجب منها ولدين احدهما سيكون شيوعيا والاخر من جماعة الاخوان المسلمين ،سيصبحان فيما بعد نماذج او رموز للحركات السياسية التي ستتحرك على الساحة المصرية عقب ثورة يوليو . تضافرت سلطة سي سيد وتردد نجيب محفوظ في تكوين شخصية كمال والمتارجح بين كل الانتماءات والمواقف والشخص الذي يقف في المنتصف داءئما عاجزا عن حسم اختياراته وانتماءاته كلها([44])

41- جورج طرابيشي ،.الفالوسية ، المرجع السابق ، ص. 30

42- المرجع نفسه، ص. 55

[43]- هشام شرابي، المرجع السابق ، ص. 72

[44]- حلمي هلال ، سي سيد نسخة 2006، ص. 56 ، جريدة الفنون ، عدد 71-

الخاتمة

في تجنيس هذه الثلاثية نرى انها تنزاح نحو السيرة الذاتية ، وهي تركز على إعطاء شكل تخييلي وذاتي وفني لجملة الوقائع التاريخية «الموضوعية» الخام التي تتركب منها السيرة الذاتية، . ومقومات الرواية العائلية التي هي أيضاً ضربٌ من التخييل، ولكنه التخييل الذي يلتزم من الواقع ـ إذا التزم ـ ببعض عناصره ، من دون أن يقيّد نفسه بالحقيقة التاريخية لسيرة حياة الشخص المعني .

في هذه الثلاثية تندغم الرواية العائلية بالسيرة الذاتية ، وهي تنفتح على التاريخ الفعلي والموضوعي ، ولكن بقدر من التعديلات والتحويرات التي تقتضيها «الأسلبة» التقنية والغائية الجمالية بحيث ينوب الصدق الفني مناب الصدق التاريخي من دون أن تُنتهك قوانين ذاك ووقائع هذا انتهاكاً مباشراً ([45]) ، ولكن هذا الصدق الفني عمق حلقة التماس مع مفهوم الابوة والرجولة لتأتي الوقائع على هامش الحدث ،ولكنها غزلت حبكة النص الروائي وخلقت ذريعة لموت فهمي(التظاهرات ضد الانكليز، ومفهوم الوطنية التي جاءت عند فهمي كرد فعل ضد الانكليز).

غير ان الثيمة الاساسية التي تشكل منها موضوع دراستنا برزت في هذين النصين (ثلاثية نجيب محفوظ ، وبيت برناردا البا) عن تحول في النظام الابوي ومفهوم الرجولة ذي الدلالة التي تتنافى كليا مع المفهوم البطركي التقليدي عن الرجولة وقيمها ، وحضورها وتحملها المسؤولية تجاه الاسرة او العشيرة او المجتمع .

لقد حدث هذا التحول ضمن نسق دلالي ينفي الصفة التمثيلية الرمزية للأب / الحاكم كما ساد مفهومه في النسق النمطي للمفهوم التقليدي / الاصولي / الانتثروبولوجي الذي يعتقد أن له حقا مقدسا برقاب شعبه، بوصف هذا الشعب ابنا (قربانا) يمكن تقديمه على عتبات مقدساته السلطوية الوثنية([46])، واخترق هذا النظام وقوض دعائمه التحول عبر المستويين الفكري والجنسي بابطاله الذكور الثلاثة : ياسين ، كمال وفهمي ، وحتى صهرا العائلة ، شخصيتان مناقضتان لشخصية سي سيد بسبب اختلاف الترسيمات التي اتسمت بها ابوة ورجولة البطركية التقليدية .

فالجيل الثاني ، ممثل البطركية الحديثة خالف هذه الترسيمات وفي اغلب الاحيا ن أهملها ولا سيما داخل الاسرة .فياسين مثلا لم يشعر بلحظة من اللحطات باهمية الانفتاح على الاخر في العائلة ، وتحمل مسؤوليته تجاهه .

والبطركية الحديثة ، وفق السيرورة العامة لسرديات "الثلاثية " انتهت بالرجولة والابوة الحديثة الى عدم تحمل المسؤولية داخل الاسرة ،نتيجة منطق الرعاية الذي فرضته البطركية التقليدية والذي يقضي بعدم منح الاستقلال الذاتي للجيل الجديد ، بل بالخضوع لشروط نظام الابوة.

[45]-حلمي ، مرجع سابق ، ص35.

[46]-شرابي، المرجع السابق ، ص. 31

هذا ما انتهى اليه ياسين وكمال وفهمي ، فهم لم يتحملوا مسؤولياتهم تجاه اسرتهم ، باستثناء فهمي وكمال اللذين خرقا نظام الاسرة والحصار الذي فرضه سي سيد ، وكسرا طوق الحصار الداخلي لينطلقا الى الاهتمام بالشأن العام ، وهذا ما لم تألفه نظم الابوة التقليدية .أما في النص الغربي الذي تملي عليه الام /الأب الشروط والقيود الابوية ، فقد أحكمت الأم فرضها لشروط الابوة ، وتركت بناتها يعانين ما يعانينه من خناق وحجز للحرية ومصادرة لرأي أو موقف ، حتى برزت المتمردة الاولى التي حاولت خلخلة اركان هذا النظام الحديدي ، واعلنت تمردها عليه ، وإن على الصعيد الشخصي .

من خلال هذين النصين نلحظ ان الانماط المفاهيمية للأبوة والرجولة تسلك مسالك جديدة ومغايرة ، واحيانا مدمرة للمفاهيم التقليدية ، وعليها تحديد هوية الرجولة وتعيينها وفق الحدود التي تضعه في إطار علاقة صحيحة وسليمة مع المرأة بعد التطورات التي حققتها الحركة النسوية ،وترويج خطابها بالنسبة الى المجتمع واعتماده ، إذ لم يعد الامر يقتصر على طبيعة العلاقة الثنائية بين رجل /امرأ ة، أو أب / أم، المصوغة باللامساواة الموروثة من النموذج البطركي ،الحامل في تكوينه السلطة الفعلية لسيطرة الرجل على المرأة ، بل صارت القضية تتعلق بتحول هذه السلطة البطركية من الاصولية التقليدية الى السلطة الحديثة ،كما لاحظنا في المسار السردي للثلاثية، في اثناء ملاحظتنا لتحول هذه السلطة وتغيرها وإن بدت لنا تحولا مشوها ممسوخا ، وكما رأينا أن التحول لم يمر به الابناء فقط بل النساء أيضا (عائشة وخديجة ، والابنة الصغيرة في بيت برناردا البا) . وطبيعي أن يجبر هذا التحول الرجل على ان يعيد تحديد هويته كفرد وكرجل ، الى جانب دوره العائلي والاقتصادي والاجتماعي

وقد قادني الوقوف على تحولات الأبوة والرجولة في النصين العربي والغربي ،و في إطار المقارنة بين ثلاثية محفوظ و نص مسرحية بيت برناردا البا : وهما نموذجان من أدب الرجولة: شرقي وغربي ، الى استخلاص ان هناك تشابها في الموضوع واختلافا في البنية «المورفولوجية» المضمون، وجوهر ما أراد الاثنان قوله في النصين هو ان الرجولة تنتج نفسها وهناك من يعيد انتاجها المرأة ، ومن يهز نظامها المرأة والرجولة الحديثة(الابنة ، خديجة ولكن ليس في منزل والدها بل في منزل زوجها ، كمال وفهمي) .

وهكذا يمكن استخلاص أن الرجولة لدى الابناء تحولت على الشكل التمثيلي بدل الفعل ، والتقليد بدل التماهي ، وليس تبديل الذات عند ياسين ولكنها انجزت لدى فهمي وكمال في محاولتهما الانزياح عن السلوك والانتماء السياسي الذي اختاراه ولدى الابنة الصغيرة في بيت برناردا البا التي بدأت التمرد على القيم الذكورية وقوانينها ، بينما استغرق التمثيل والتقليد لدى ياسين .

وفي النهاية نجد أن الرجولة وضعت الرجل نفسه خارج اللعبة عندما أخذ قرار الجمود بعدم مواجهته لهذه السلطة ، وعليه اليوم أن يجيب عن هذا السؤال: ما هو النموذج الذكوري "الجديد"

الذي يتلاءم مع هذا القرن ، ومع الخطوات الكبرى التي قامت بها المرأة؟ قديمــا قالت سيمون دوبوفوار في كتابها "الجنس الثاني": "لا نخلق نساء إنما نصبح نساء"، كذلك يمكن للرجل أن يقول: لا نخلق رجالا إنما نصبح رجالا، معنى ذلك أن الذكورة معطى ثقافي يتطلب التعلم والاكتساب، لذلك لا يمكننا الحديث عن نموذج ذكوري ثابت عبر الزمان والمكان(47).

[47]-عن شادية عارف العارف ، المرجع السابق .

" سي سيد" صورة الرجولة والأبوة وتحولاتها في "ثلاثية "نجيب محفوظ و"بيت برناردا ألبا "

RÉSUMÉ

SI SAYED" IMAGE DE MASCULANITE ET PATERNITE ET SES MUTATIONS DANS" LE TRILOGUE" DE NAJIB MAHFOUZ ET LA "MAISON DE BERNARDA ALBA"

LA MASCULINITE ET LA PATERNITE

CETTE ETUDE TRAITE UNE PROBLEMATIQUE DE LA RELATION ENTRE MASCULANITE ET PATERNITE DANS LA FAMILLE NUCLEAIRE ,D'APRES LE TRILOGUE DE NAJIB MAHFOUZ ET LE TEXTE THEATRAL" LA MAISON DE BARNADA ALBA "DE L' ECRIVAIN ESPAGNOL FEDERICO GARCIA LORCA, , OU IL VISE LE POUVOIR SOUS SES ASPECTS DIVERS :POLITIQUE ET MASCULIN QUI SE REPRODUIT PAR LA FEMME \MERE \PERE.
ET AUSSI , CETTE ETUDE MET EN VALEUR LA MUTATION DE LA DEUXIEME GENERATION (DES FILS) ,ET QUI S'INCARNE DANS DEUX ASPECTS : INTELLECTUELS ET CORPORELS.

السيرة الذاتية

وطفاء حمادي

عضوة هيئة تدريس في كلية الاداب الجامعة اللبنانية

-عضوة هيئة تدريس في المعهد العالي للفنون المسرحية –الكويت
لها عدد من الابحاث والدراسات المتعلقة بالمسرح والنقد النسوي في المسرح –
شاركت في عدد من المؤتمرات العلمية في العالم العربي
من مؤلفاتها : -التراث في مسرح توفيق الحكيم ، وآلية توظيفه
- المرأة والمسرح في لبنان –
-الخطاب المسرحي في العالم العربي (عن تجربة المسرحيين الشباب العرب)
-الملامح النسوية العربية والنقد المسرحي –
عضوة في تجمع الباحثات اللبنانيات
- .

-

-